الآثار الإسلامية بالجزائر

مسجد سيدي غانم أنموذجا

عمار بن محمد بوزير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآثار الإسلامية بالجزائر

مسجد سيدي غانم-أنموذجا-

إعداد

عمار بن محمد بوزير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآثار الإسلامية بالجزائر: مسجد سيدي غانم أنموذجا

مقدمة:

لا تزال هناك مناطق كثيرة جدا من الجزائر العميقة غير مكتشفة، غامضة، لا يدرى عن ماضيها، وما فيها من تاريخ، غامض عمقها الحضاري، غير أنها تطل علينا من حين لآخر، ببعض العبق الذي يثير فينا فضول الاستكشاف ومحاولة كشف المستور.

وتعتبر "ميلة" من تلك المناطق التي تشهد الجبال الصخرية المترامية على أطرافها، وبقايا آثار حضارات مرت من هناك، نوميدية أو رومانية أو بيزنطية.

آثار تدعونا للكشف عنها ومحاولة معرفة، كيف عاش أولئك الأقوام؟ وما هي الآثار التي تركوها؟ إلام ترمي؟ ما هي الرسال التي تركها لنا السابقون؟.

ومن أبرز المظاهر التي تدعونا للبحث والتنقيب هو السور البيزنطي الذي لا تزال معالم أكثره ظاهرة بارزة للعيان.

وما حواه هذا السور من مباني وشواهد قبور، وكتابات.

إلا أن المتجول داخل السور يلفت إنتباهه، مبنى ضخم لا يزال قائما ظاهره الطراز الفرنسي إلا أنك وبمجرد الدخول إليه تتفاجأ بالطراز الإسلامي يستدعي ذاكرتك لتقفز سريعا إلى فترة الفتح الإسلامي، ويستدعي روايات المؤرخين الذين ذكروا هذا المسجد، ووصفوه ن وقصوا لنا قصة بنائه ومن بناه.

ليقف هذا المسجد مسجد سيدي غانم أو مسجد أبي المهاجر دينار أو مسجد ميلة القديمة رمزا ومعلما إسلاميا مهما، يحتاج منا التوقف عنده للإجابة عن كثير من الأسئلة:

من بناه ؟ متى بني؟ ما هي مميزاته؟ ما هي القيمة التراثية لهذا المسجد؟

وغير ذلك من الأسئلة التي نحتاج الإجابة عنها لتجلية تاريخ هذه المنطقة، والإفصاح عن فترة من فترات تاريخ الجزائر.

ومن أجل ذلك فقد اعتمدت في بحثي هذا على خطة مسطرة كما يلي:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منتهجا في ذلك المنهج الوصفي التحليلي، لمناسبته لطبيعة البحث الأثري، معتمدا في ذلك على بعض المصادر التي عنيت بتاريخ المنطقة، ككتب الجزائر لأحمد توفيق المدني، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، وتاريخ ابن خلدون، وغيرها من المراجع والمصادر.

كما حاولت الوقوف على المعلم الأثري فانتقلت إلى مدينة ميلة وقمت بزيارة مسجد سيدي غانم وحاولت قدر المستطاع تسجيل ما يمكنني تسجيله من معلومات، بالرغم من العوائق والعراقيل التي وقفت أمامي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مدخل للآثار الإسلامية

الحضارة الإسلامية مفهوم ومظاهر

مفهوم الحضارة الإسلامية

نظرا لطروق كثير من البحوث لموضوع تعريف الحضارة لغة واصطلاحا، فإن إعادة الكلام فيها، الآن يعتبر من الترف العلمي، وربما يساهم في إبعادنا عن صلب الموضوع لذلك فسأكتفي بذكر مفهوم عام للحضارة الإسلامية، ذاك المفهوم الذي سيساعدنا على فهم المقصود من البحث.

يقول عبد العزيز بن عثمان التويجري :"الحضارة الاسلامية هي نتاج لتفاعل ثقافات الشعوب التي دخلت في الإسلام، سواء ايمانا وتصديقا واعتقادا أو انتماء وولاء وانتسابا، وهي خلاصة لتلاقح هذه الثقافات والحضارات التي كانت قائمة في المناطق التي وصلت إليها الفتوحات الإسلامية، ولانصهارها في بوتقة المبادئ والقيم والمثل التي جاء بها الإسلام هداية للناس كافة...وهي الحضارة الإسلامية نوعان : النوع الأول: حضارة إسلامية أصيلة وتسمى حضارة الخلق والإبداع وقد كان الإسلام مصدرها الوحيد، وعرفها العالم لأول مرة عن طريق الإسلام، والنوع الثاني.. حضارة قام بها المسلمون في الأمور التجريبية امتدادا وتحسينا، كما عرفها الفكر البشري من قبل، وتسمى حضارة البعث والإحياء. "[1]

لذلك فقد قال المسلم النمساوي [محمد أسد ليوبولدفابس]:"إن الحضارات المختلفة قامت ونشأت رويدا رويدا من تراث الماضي بما حوى من ضروب الرأي وتيارات الفكر التي استغرقت في تبلورها إلى شكلها الخاص وكيانها المحدد آمادا طويلة من الزمن، فلقد انفردت حضارة الإسلام وحدها بانبجاثها إلى الحياة دون سابق عهد أو انتظار،وقد جمعت في فجر نشأتها كل المقومات الأساسية لحضارة مكتملة شاملة،...،ولم يكن قيامها ثمرة تقاليد ذخر بها الماضي ولا وليد تيارات فكرية متوارثة، ولكن هذه

1- عبد العزيز بن عثمان التويجري، خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل(ص6).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحضارة كانت وليدة حدث تاريخي فريد هو تنزيل القرآن الكريم، وكان مردها إلى رجل فذ في التاريخ هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم "[2]

وهذا لا يعني بحال من الأحوال أن الحضارة الإسلامية لم تقتبس من غيرها من الحضارات، بل قد عملت على استكمال الدورة الحضارية، وتتميم الفائدة ومواصلة البناء البشري، فصهرت الجوانب الجميلة منها في بوتقتها، واستطاعت أن تقود البشرية إلى نظريات التفكر والنظر في الكون والخلق لقرون عدة، مقدمة معاني الإخاء والتساوي والتكامل والترابط والإيثار والنفع، في معاني أخرى لم تكن حضارة اخرى خليقة بها إلا الحضارة الإسلامية[3].

وربما هذا يذكرنا بندم أناتول فرانس وهو يتذكر هزيمة الجيوش الاسلامية الفاتحة في معركة بلاط الشهداء ولم تكن هزيمة للمسلمين بل هزيمة للمدنية في اوربا فيقول:" أسوأ يوم في التاريخ هو يوم معركة (بواتييه) عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية أمام بربرية الفرنجة ، ألا ليت شارل مارتل قطعت يده ولم ينتصر على القائد الإسلامي عبد الرحمن الغافقي" "حين نتذكر كم كان العرب بدائيين في جاهليتهم يصبح مدى التقدم الثقافي الذي أحرزوه خلال مئتي سنة ، وعمق ذلك التقدم ، أمراً يدعو إلى الذهول حقاً ، ذلك بأن علينا أن نتذكر أيضاً أن النصرانية احتاجت إلى نحو من ألف وخمسمئة سنة لكي تنشئ ما يمكن أن يدعى حضارة مسيحية ، وفي الإسلام لم يُولّ كل من العلم والدين ظهره للآخر ، بل كان الدين باعثاً على العلم ، وإن الحضارة الغربية مدينة للحضارة الإسلامية بشيء كثير إلى درجة نعجز معها عن فهم الأولى إذا لم تتم معرفة الثانية"[4]

مميزات العمارة الإسلامية

وإذا ما أردنا الحديث عن خصائص الحضارة الإسلامية فإننا نحاول غلق باب لا يغلق، فكيف الحديث عن حضارة أساس استمدادها وحي من الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه، وكيف لنا أن نتحدث عن مظاهر حضارة بلغت الآفاق وانصهرت فيها جميع الحضارات الأخرى.

2- أنور الجندي، الحضارة في مفهوم الإسلام، دار الأنصار، القاهرة مصر،(ص3).

3- أنور الجندي، مرجع سابق،(ص6-7).

4- عبد الرحمن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير - الاستِشراق - الاستعمار ، دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق(الطبعة الثامنة)(1420 هـ - 2000 م)(ص190).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكننا وبمحاولة للنظر إلى هذه الحضارة من زاوية من زواياها، والمتعلقة رأسا بعلم الآثار فإن الحديث حينها عن العمران كمظهر من مظاهر الحضارة ووجها من وجوهها، ربما من شأنه أن يمكننا من معرفة جانب من جوانب الرقي في الحضارة الإسلامية.

وقد قالوا: العمارة وعاء الحضارة، لأنها هي الوجه الذي تبرز فيه الحضارة لناظريها، وبالعمارة تسجل الأمم والحضارات رسائلها المشفرة للأجيال البشرية المتعاقبة.

وهي تمثل بصورة أو بأخرى خلاصة الهُوية الثقافية والمستوى الإبداعي والجمالي لأهل الحضارة.

وإن كانت الحضارات السابقة قد تميزت العمارة فيها واتخذت أنماطا وطرزا متعددة ومتنوعة ومتخصصة تنوع النطاق الجغرافي ، وتعدد البيئة المحتضنة للحضارة وتخصص الثقافة والهوية التي تنطلق منها الحضارة، فإن الحضارة الإسلامية كذلك قد طبعت لنفسها نمطا من أنماط العمارة تميزت به وتخصصت فيه واحتكرت وصفه واسمه.

والعمارة الإسلامية وجدت منذ وجود الإسلام أي من القرن السابع ميلادي(7م) إلى غاية القرن التاسع عشر (19م) زمن بداية الحضارة الأوربية المعاصرة في الانقضاض على العالم الإسلامي، ومتقصدة في كثير من الأحوال طمس معالم هذه الحضارة أينما حلوا وأينما ارتحلوا.

والعمارة الإسلامية هي ذاك الكم الكبير المتناسق من المباني والهياكل والمنشآت المتعددة الاستخدامات التي حفلت بها الأقطار الإسلامية.

وقد تميزت العمارة الإسلامية بالتنوع والتعدد، وذلك راجع لتنوع العنصر البشري المكون للمجتمع الإسلامي، وكذلك للتوسع الكبير في الرقعة الإسلامية، مما أدى إلى اختلاف البيئات التي عاش فيها المسلم، ونبتت فيها جذور الحضارة الإسلامية، خاصة وان البناءات والمنشآت كان الدافع لها هي الحاجة الملحة، وقد لعب الفكر الإسلامي والوجدان الروحاني دورا بارزا في تميز وتعدد العمارة الإسلامية.

لذلك نجد أن العمارة الإسلامية تميزت عن غيرها من العمائر كونها تختلف من قرن لآخر ومن بيئة لأخرى-لكن في الإطار العام للعمارة الإسلامية- فأنتجت باعتبار الزمن الطراز البسيط والذي يرجع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للقرن الهجري الأول، ثم الطراز الأموي الذي ترجع نسبته الى الخلافة الأموية[5]، ومن أشهر الأمثلة على الإطلاق مسجد قبة الصخرة،والتي بنيت سنة (72هـ) أي سنة (691م)، ثم الطراز العباسي نسبة للخلافة العباسية،ومن أشهر امثلة العمارة العباسية مسجد سامراء في العراق أو جامع أحمد بن طولون بمصر(256هـ)أي سنة(878م).

وكذلك ظهر أنماط عمارة إسلامية متعددة باعتبار المكان فكان هناك الطراز المراكشي والأندلسي ويقف قصر الحمراء سنة(629هـ)وسنة(1232م) شامخا كأعظم مثال للعمارة الإسلامية المراكشية الأندلسية.

وظهر أيضا الطراز الفاطمي نسبة للدولة الفاطمية بمصر ومن أهم أمثلة عمارتها الإسلامية الجامع الأزهر.

ومنه أيضا الطراز الأيوبي، نسبة للأيوبيين الذين حكموا بلاد الشام والحجاز ومصر وكانت بداية دولتهم على يد صلاح الدين الأيوبي، وقد تميز عصرهم بكثرة الحروب مع الصليبيين لذلك اشتهرت في عصرهم القلاع الحربية، ومن أكبر الأمثلة على ذلك: قلعة صلاح الدين الأيوبي بمصر.

ثم هناك الطراز المملوكي نسبة للمماليك الذين حكموا بعد الأيوبيين، وتميزت العمارة في عصر المماليك بالثراء في فنون الديكور وأعمال المعادن والخشب والفسيفساء خاصة في عمل المنابر والثريات.

وغيرها من الطرز الكثيرة المتنوعة تنوع الأقاليم الإسلامية، والأعراق البشرية التي انصهرت داخل الحضارة الإسلامية.

وإذا ما رجعنا إلى العناصر المكونة للعمارة الإسلامية فنجد أنها اشتملت على هياكل لم تكن في الحضارات التي سبقتها، بل تميزت بها دون غيرها ومن هذه الهياكل التي يمكننا أن نقول أنها إسلامية النشأة والتطوير:

5- محمد هشام النعسان،أسس ومبادئ العمارة الإسلامية،موقع أرض الحضارة، http://www.landcivi.com/ تاريخ الاطلاع(2015/11/07م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-المساجد: يعتبر المسجد أقدس بناية يمكن أن يبنيها المسلم، ويعتني بها، بل بلغت عناية الحضارة الإسلامية بالمساجد الذروة لأنه بباسطة بيت الله، فبلغت الإبداعات الفنية والهندسية في المساجد أرقى صورها، وفاقت حتى تلك التي كانت تزين قصور الحكام والسلاطين.

وقد تميزت عمارة المساجد بالتناسق اللامتناهي، بما كان يسلب أنظار المتابعين لها، فترى في أغلب المساجد ذلك التناسق الباهر بين المئذنة والقبة والنوافذ وصحن المسجد وغيرها من مكونات وأجزاء المسجد.

والمسجد في العادة يتكون من: الصحن الذي يكون عادة واسعا، ليتسع لجموع المصلين، ثم الميضئة، ويحيط بالصحن رواقا مغطى يحمي من الشمس أو المطر وفي العادة يكون الرواق المميم شطر القبلة بمكة أوسع من باقي الأروقة، ويتظمن محرابا ومنبرا ومقعدة للمبلغ عن الإمام.

إضافة إلى المآذن أو المنارات وفي العادة تحتل الزوايا والأركان.

أما عن الزخرفة فتميزت المساجد بما يسمى بالأرابيسك، وهي زخرفة إسلامية خالصة، تبدأ كما تنتهى والوسط بها يعبر عن كل من البداية والنهاية وهذه العناصر الزخرفية لم يستطع الفنان الأوروبى ابتداعها لذلك كانوا ينقلون هذه الزخرفة ويستخدمونها في أعمالهم الفنية.

إضافة إليها فقد اعتمد الفنانون المسلمون على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فنقشوها بحرف بارز او مجوف ، أو مرسومة بالاصبغة الملونة او بماء الذهب ، وأثبتوها فى القباب وفوق المجاريب وعلى جوانب الجدران.

-المآذن: ويطلق عليها أيضا لفظ المنارة أو الصومعة،وهي من أبرز العناصر التي تميز العمارة الإسلامية، وارتفاع المئذنة يخضع عادةً إلى التشكيل الخارجي للمسجد مع وجود التناغم في نسب التفاوت بينها وبين القبة وبين أبعاد وواجهات المسجد، مما يوحي للناظر التجانس المطلوب في وجوه فن العمارة بشكل عام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والأساس الذي من أجله وجدت المآذن هو الحكم الشرعي الذي يقضي بارتفاع المؤذن للإعلام بوقت الصلاة. وكانت المآذن في العصر الإسلامي الأول مربعة القطاع حتى الشرفة الأولى، ثم تستمر كذلك مربعة أو على شكل ثمانيّ الأضلاع، ويلي ذلك شكل مثمَّن أو دائري وتنتهي بقبة صغيرة[6].

-القباب: والعنصر الآخر من عناصر العمارة الإسلامية هو القباب، وإن كان القباب قد ظهرت من قبل في الحضارات التي سبقت الحضارة الإسلامية، كحضارة بلاد الرافدين والأقباط والبيزنطيين، إلا أن الخصائص والمميزات التي أضافها المعماري الإسلامي كانت كفيلة بأن تنتج لنا طرازا إسلاميا خاصا من بين القباب التي ظهرت في التاريخ.

وقد ظهرت القبة أول ما ظهرت في الحضارة الإسلامية زمن الدولة الأموية فلم يعرف، أن كان مسجدا من مساجد المسلمين خلال العصر الأول للدولة الإسلامية زين بقبة، أو استعملت كعنصر من عناصر المعمار فيه[7].

-العقود: من تلك العنصار التي تألفت منها العمارة الإسلامية وتميزتن العقود إما مزخرفة أو غير مزخرفة، وهي أنواع كثيرة جدا وأشكال مختلفة والأنواع التي كثرت في العمارة الإسلامية نذكر منها:

أولاً: عِقد على شكل حدوة الحصان، وهو عقد يرتفع مركزه عن رجلي العقد، ويتألف من قطاع دائري أكبر من نصف دائرة.

ثانياً: العقد المخموس، وهو يتألف من قوس ودائرتين وهو مدبب الشكل.

ثالثاً: العقد ذو الفصوص، استعمل خصوصاً في بلاد المغرب ويتألف من سلسلة عقود صغيرة.

رابعاً: العقد المزين باطنه بالمقرنصات، شاع استعماله في الأندلس ولا سيما قصر الحمراء وبلاد المغرب.

6- غوستاف لوبون،حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة مصر (د ط) (2013م)(ص544) (ص547).

7- يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية،مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر،(الطبعة الأولى)(1999م)(77/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خامساً: العقد المدبب المرتفع، استعمل بكثرة في إيران ونجد منه أمثلة في مسجد الشام واستعمل أيضًا في مساجد مصر [8]

-السبيل: أو عين الماء وهي من العناصر المهمة التي كانت دوما بإزاء المساجد، والسبب في ذلك راجع إلى الأحكام الشرعية المتعلقة بالتصدق بالماء، وكذلك الحاجة إلى الماء داخل المسجد والميضئة.

وعادة ما يكون الجزء الظاهري للسبيل فوارة أو نافورة، أبدع المعمايرون المسلمون في تزيينها.

8- يحيى وزيري، المرجع السابق (2/66-67).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اطلالة على تاريخ ميلة

التعريف بميلة

الموقع الجغرافي لميلة

تقع ميلة بالشمال الشرقي للجزائر وتبعد بمسافة 50 كلم عن قسنطينة و100 كلم عن جيجل، عرفت في العهد القديم باسم ميلو، وكانت إبان التواجد الروماني ذات أهمية كبيرة جدا لموقعها الإستراتيجي[9]

ملحق (1)
حدود مدينة ميلة القديمة ومسجد سيدي غانم

وتتميز تضاريس إقليم ميلة باختلاف وتنوع وتعدد مناظرها فيوجد فيها الكتل الجبلية المرتفعة السائدة بالمنطقة الشمالية وتبلغ أعلى قمة لها(1600م) تتشكل التضاريس بالمنطقة السفلية للبلديات المجاورة وجيجل من التلال والسفوح الجبلية المنطقة الوسطى فتتميز بالسهول المرتفعة تسود بالجنوب الكتل الجبلية الآلية ذات ارتفاع يبلغ(1400م) المناخ:يتميز مناخ ولاية ميلة بصيف جاف وحار وشتاء بارد

9- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية (ص241).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ورطب وتقدر نسبة تساقط الأمطار بـ: (700مم)سنويا على مستوى المنطقة الجبلية و(350مم) سنويا بالجنوب وتتراوح مابين(400مم) إلى(600مم) سنويا بالمنطقة الوسطى.

وتنقسم إلى قسمين ميلة القديمة وميلة الأوربية:

فأما ميلة القديمة(Mila) فقد عرفت منذ القديم تحت اسم ميلو(Milo) نسبة لملكة بربرية أو ميلاف(Milev)التي تعني ألف منبع مائي، ميليوم(Mulium)موليوم (Molium)ميديوس(Médius) ميلاح(Milah)، وشيدت خلال فترة تتراوح ما بين قرنين أو ثلاثة قرون ما قبل الميلاد في موضعها الحالي على يد الملوك النوميديين ثم تجددت سنة(256م) وقد كانت إحدى القواعد العسكرية الأربعة التي كانت تتولى ضمان الأمن بإقليم سيرتا.

وقد قام الإمبراطور الروماني جوستينيان سنة (450م) ببناء سور ضخم يحوطها من كل الجهات،ولا زالت بعض أجزائه ظاهرة لحد اليوم[10].

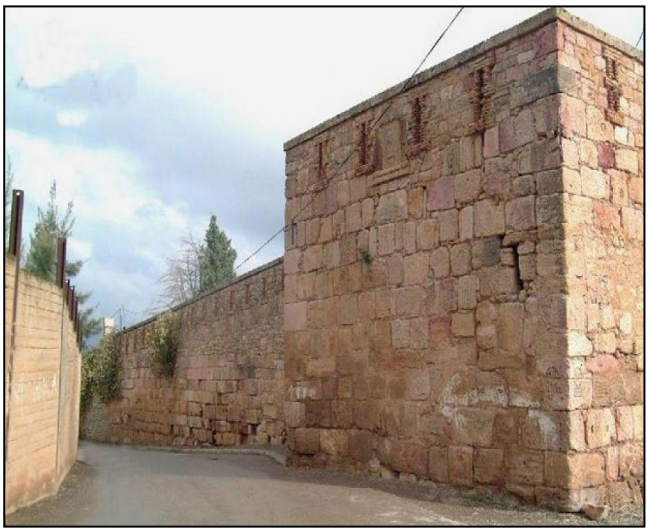

10- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق نفس الصفحة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

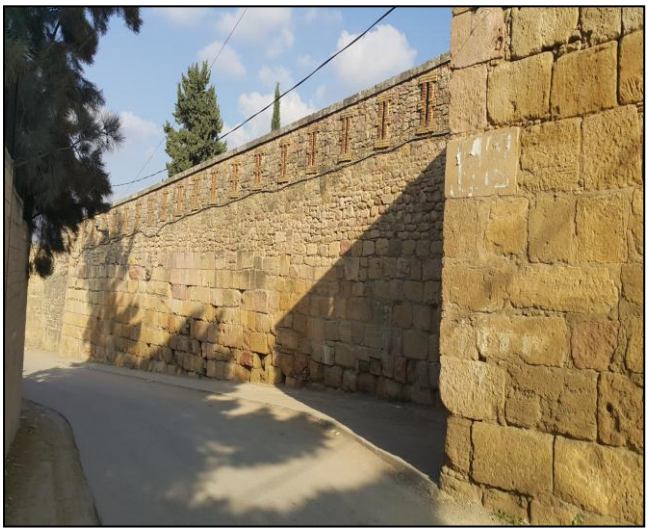

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما ميلة الأوربية فقد قام الإستعمار الفرنسي بإنشائها بعيد احتلاله للجزائر وذلك سنة(1837م) بعيد سقوط قسنطينة مباشرة.

وصفها اليعقوبي فقال:" ومدينة عظيمة جليلة يقال لها: ميلة عامرة محصنة لم يلها وال قط ولها حصن دون حصن فيه رجل من بني سليم يقال له: موسى بن العباس بن عبد الصمد من قبل ابن الأغلب، وسواحل البحر تقرب من هذه المدينة ولها مرسى يقال له: جيجل، ومرسى يقال له قلعة خطاب، ومرسى يقال له إسكيدة، ومرسى يقال له ملر، ومرسى يقال له مرسى دنهاجة، وهذا البلد كله عامر كثير الأشجار والثمار وهم في جبال وعيون"[11].

ويقول المراكشي:" مدينة أزلية فيها بعض آثار للأول تدل على أنها كانت مدينة كبيرة. وهى الآن عامرة آهلة كثيرة الخصب رخيصة السعر، على نظر واسع وقرى عامرة. وميلة كثيرة الأسواق والمتاجر، عليها سور صخر جليل من بناء الأولين. وفى وسط المدينة عين خرارة عذبة من بناء الأوائل لها سرب كبير يدخل فيه فلا يوجد له آخر، ولا يعلم من أين يأتى ذلك الماء. ويقال إنه مجلوب من جبل بالقرب منها يسمى تامروت، وتعرف هذه العين بعين أبي السباع." [12]

ميلة عبر التاريخ:

يرجع تاريخ ميلة إلى العصر الحجري الحديث, حيث يوجد بالولاية أحد أهم مواقع ما قبل التاريخ في الجزائر، كموقع مشتى العربي قرب شلغوم العيد، الذي يعود إلى الحضارة القفصية في شمال إفريقيا. أما عن المدينة فقد تم اكتشاف أدوات صوانيه في السهل الشمالي الغربي الممتد بين المدينة القديمة وواد بوخنزير ووادي مخزود, وهي ذات أحجام مختلفة.

11- اليعقوبي أحمد بن إسحاق بن واضح،البلدان ،دار الكتب العلمية ، بيروت (الطبعة الأولى)،(1422 هـ)(ص190).

12- المراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار،دار الشؤون الثقافية، بغداد(د ط)،(1986م)(ص166)، وعبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت(الطبعة الأولى)(1412 هـ)(1345/3)، و ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت (الطبعة الثانية)(1995م)،(244/5).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد تعاقبت على ميلة عدة حضارات منها الحضارة النوميدية فالرومانية وحضارة الوندال والحضارة البيزنطية ثم الحضارة الإسلامية.

-وقد برز دورها في العهد النوميدي، كإحدى أبرز القلاع الحربية التي تتولى الدفاعات المتقدمة عن سيرتا العاصمة النوميدية التاريخية. يقول في ذلك المؤرخ والرحالة الروماني بوليبيوس :" كانت ميلاف في أول الأمر قلاعا حربية للدفاع عن سيرتا ثم اخذت في التوسع إلى ان أصبحت في عهد تراجان شبيهة بسيرتا."

-أما في العهد الروماني فمنذ احتلالهم لسيرتا سنة(112ق.م) بدأ الرومان بالتوسع في المناطق القريبة منها، ومنها ميلة، وكعادة الرومان في المناطق التوسعية، فقد قاموا بتخطيط مدينة ميلة وتعميرها فجلبوا إليها المياه عن المناطق المجاورة كما أنشؤوا الدور والقصور والأبراج والأسوار وتشييد شبكة الطرق والمواصلات داخل المدينة وخارجها وربطها بمدن تقع على الخط الأفقي الممتد منها إلى مدينة سيرتا (قسنطينة) شرقا وكويكول (جميلة) في الجنوب الغربي وتأسيس خطوط عمودية أخرى تربطها بالموانئ الساحلية ،وقد صارت مدينة ميلة قاعدة هامة لحماية مدينة قسنطينة من الثورات المحلية ومن الهجومات الخارجية. شيد الرومان ميلة من حجارة وصخور الجبال المحيطة بها كما حفرت بها الآبار والعيون وأقيمت بالقرب منها بعض السدود الصغيرة لسقي الحقول التي اشتهرت بها المنطقة حتى سميت ميلة بـ"ملكة الحبوب والحليب"، وقد أحاطوها بسور كبير أقامه القائد الروماني جوستينيان سنة (450م).

-واستطاع الوندال بعد تفكك الإمبراطورية الرومانية من احتلال المناطق الشرقية من سيرتا واستطاعوا السيطرة على ميلة سنة (445م)كما تذكر بعض التقديرات،حيث جعلوها مركزا لمراقبة باقي الأقاليم المجاورة

-وسرعان ما انهار الحكم الوندالي ليخلفهم البيزنطيون وارثوا الحضارة الرومانية، وكان دخولهم سنة (539م-540م)حيث جدّدوا بناء أسوارها وأبوابها ومنشآتها العمرانية ,ونظرا لأهميتها الدينية والإستراتجية جعلوا منها المدينة القلعة حيث قام القائد سولومون بتجديد بناء السور المحيط بالمدينة وطوله(1200)متر ودعمه بـ(14)برج للمراقبة، وقد حرس على ضم أهم معالم المدينة الرومانية[13].

13- ميلة تاريخ وحضارة، من مدونة تاريخ ميلة، http://milahistoire.fr.gd .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ميلة في العهد الإسلامي

الفتح والاستقرار

في حدود سنة (45هـ) قام أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان بتعيين مسلمة بن مخلد السكوني أميرا على مصر المغرب، فقام هذا الأخير بعزل عقبة بن نافع عن إفريقية(إقليم تونس)، وولى مولاه أبا المهاجر دينارا وطلب منه غزو المغرب فبدأ الغزو[14].

قال خليفة بن خياط:"وفيها(أي في سنة59هـ) غزا دينار أبو المهاجر فنزل على قرطاجنة فالتقوا فكثر القتل والجراح فِي الفريقين وحجز الليل بينهم وانحاز المسلمون من ليلتهم فنزلوا جبلا في قبلة تونس ثم عاودوهم الْقتال فصالحوهم على أن يخلو لهم الجزيرة وانتهى المهاجر إلى عيون أبي المهاجر وافتتح ميلة"[15]

فعلى هذا ففتح ميلة كان سنة (59هـ)خلافا لمن قال أنه سنة (55هـ).

وعلى عكس غيره من أمراء الفتح الإسلامي، الذين كانوا يغزون المغرب ثم يعودون إلى الفسطاط بمصر، فإن أبا المهاجر دينار قام بالمكث بميلة مدة سنتين[16]، عمر فيها الحصن، وبنى فيها الجامع الذي سمي باسمه من بعده، فإذا كان فتح ميلة سنة (59هـ)، وبناء المسجد خلال عامين أي ما بين (59هـ-61هـ)، وبناء مسجد عقبة بن نافع بالقيروان كان سنة(50هـ)، فلا شك حينها أن مسجد أبي المهاجر دينار هو ثاني مسجد بني في المغرب الإسلامي بعد مسجد القيروان.

14- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت(الطبعة الثانية) (1408 هـ - 1988 م) (237/4).

15- خليفة بن خياط بن خليفة أبو عمرو الشيباني العصفري البصري ، تاريخ خليفة بن خياط دار القلم , مؤسسة الرسالة - دمشق , بيروت(الطبعة الثانية)،(1397هـ)،(266/1).

16- المرجع السابق، نفس الصفحة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأقام أبو المهاجر دارا للإمارة ملتصقة بالمسجد، ثم انتقل عن ميلة حتى وصل إلى تلمسان[17].وكان سبب اختياره لميلة لتكون قاعدة انطلاقه في فتح بلاد المغرب عوامل عدة منها: حصانة ميلة وتوسطها بلاد المغرب الأوسط واستقرار قبيلة من إحدى أقوى القبائل البربرية فيها ألا وهي قبيلة كتامة،كل هذه العوامل جعلته يختارها قاعدة إمارتهن ومنها انتقل إلى سائر بلاد المغرب فاتحا.

واستمرت ميلة عامرة منارة قبلة، تحت راية بني أمية، ثم بني العباس وتحت لواء الدولة الأغلبية،وصارت لها حظوة حتى أنها أخذت من قسنطينة بريقها وصارت من أكبر اقواعد الإدارية التابعة مباشرة لطبنة عاصمة الدولة الأغلبية في المغرب، إلى أن استولى عليها أبو عبد الله الداعي الشيعي العبيدي، فيما استولى عليه من البلاد[18]،مستغلا خروج الأمير الأغلبي:إبراهيم بن أحمد لفتح حصن طرمين بصقلية،وصارت ميلة اول حصن اغلبي يسقط في يد العبيديين، وفي سنة (378هـ) أغار عليها أبو الفتح المنصور بن أبي الفتوح يوسف ابن زيري بن مناد الصنهاجي، قال البكري:" فلمّا قرب من ميلة زحف إليها بانيا على استلام أهلها واستباحتهم، فخرج إليه النساء والعجائز والأطفال بعد أن عبّا جيوشه لمحاربتها، ونشر البنود وضرب الطبول. فلمّا رأى من خرج إليه منها بكى وأمر أن لا يقتل فيها من أهلها أحد وأمر بهدم سورها وتسيير من فيها إلى مدينة باغاية. فخرجوا بجماعتهم يريدونها وقد تحمّلوا ما خفّ من أمتعتهم، فلقيهم ماكسن بن زيري بعسكره فأخذ جميع ما معهم. وبقيت ميلة خرابا ثمّ عمّرت بعد ذلك"[19].

والسبب في ذلك أن أهل ميلة كانوا أغلبهم من كتامة القبيلة البربرية التي ساندت العبيديين، فلما انصرف العبيديون لمصر وابتنوا القاهرة، وتركوا إمارة المغرب لصنهاجة اغتاضت كتامة وكانت تعتبر نفسها احق بالإمارة من الصنهاجيين، حينها امتنعت ميلة عن تقديم الضرائب، وتمنعت من طاعة المنصور، فزحف عليها شانا الغارة ليعيدها للطاعة وخرب المدينة، ولم تعمر إلا بعد مدة، وفي عهد الحماديين في القرن الخامس هجري عاد إليها بريقها، وصارت قبلة زراعية متقدة.

17- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المرجع السابق،(237/4).

18- أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين مسالك الأبصار في ممالك الأمصار المجمع الثقافي، أبو ظبي (الطبعة الأولى)(1423 هـ)(97/24).

19- عبد الله بن عبد العزيز بن محمد أبو عبيد البكري الأندلسي، المسالك والممالك دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان (د ط)(1992 م) (729/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي عصر الموحدين أفل نجم ميلة وصارت مجرد مدينة تابعة لقسنطية حاضرة الشرق الجديدة، واستمرت على ذلك الحال، وحتى زمن الحفصيين،فلم يكن لميلة أي شان مستقل إلا انها مدينة تابعة لقسنطينة.

وفي زمن الفتح العثماني صارت ميلة تابعة لبايلك الشرق، وكانت قبيلة زواغة من أكبر قبائل البايلك والتي لعبت دورا هاما في تأييد الحكام الأتراك.

ومع احتلال فرنسا للجزائر ساهمت ميلة في الدفاع عن بايلك الشرق، إلى ان سقطت بسقوط قسنطينة سنة (1837م).

التعريف بأبي المهاجر دينار:

إن الحديث عن مسجد سيدي غانم، أو مسجد أبي المهاجر دينار، يفرض علينا أن نترجم لهذا القائد الإسلامي، حتى نفهم قيمة المسجد، بل وسيساعدنا هذا في فهم بعض جوانب عمارة هذا المسجد.

فأبو مهاجر هو:

أبو المهاجر دينار بن عبد الله النهوذي الزابي مولى حميلة بنت عقبة الأنصاري[20]، ينسب إلى تهوذة قبيلة بربرية.لكنه من موالي الأنصار وقيل من موالي بني مخزوم[21]،.

ويجب التنبيه هنا أن أبا المهاجر دينار ليس صاحبيا، ولم أقف على مصدر من المصادر التي اعتنت بذكر أسماء الصحابة، ولا تلك التي ذكرت فتوح مصر والمغرب ومن شارك فيها من الصحابة، فلم أقف على مصدر واحد ذكر أن أبا المهاجر دينار من الصحابة، ولكن هذا لا ينفي أبدا الدور البارز الذي كان له في فتوح المغرب الإسلامي.

لا تذكر المصادر متى ولد دينار، ولا أين ولد، لكن يمكننا القول بأنه من أصول بربرية وأنه كان من سبي الفتح الإسلامي الأول لإفريقيا، وتربى في المشرق حتى شب وصار مقاتلا وقائدا مظفرا يمكنه

20- ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي أبو عبد الله شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، بيروت (الطبعة الثانية)(1995م)،(328/5).

21- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين (الطبعة الخامسة عشر) (2002 م)(6/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قيادة الجيوش، لذلك استأمنه بن خالد السكوني على جيوش الفتح الإسلامي لباقي إفريقيا[22] ، وإنا نعلم أن قيادة الجيش لا تعطى في العادة إلا لمن تأهل واستكمل الخبرة العسكرية والحنكة السياسية، والقوة الدعوية.

وكل هذه الصفات قد اجتمعت في أبي المهاجر دينار، بل وزاد عليها أنه من أهل البلاد يعرفها ويعرف طبائع أهلها.

لذلك نراه من بعد يسير سيرا حسنا في الفتوح وينتهج نهجا مغايرا لنهج سالفيه في الفتوح.

-أعماله:

يشد انتباهنا أول فعل فعله أبو المهاجر دينار، وهو اجتناب السكنى بقيروان عقبة بن نافع بل وأخلاها من ساكينها[23]، وهذا الفعل يحمل دلالتين:

الأولى: أن أبا المهاجر دينار بدأ فتوحه لبلاد المغرب وهو يريد أن يضع بصمته، بشكل يترك فتوحه متميزة عن غيره.

الثانية:أنه أحس أن السكان الأصليين لبلاد المغرب وأغلبهم من البربرن تضمروا من سيرة عقبة بن نافع، وفرقوا منه، لذلك أراد أن يبعث لهم أبو المهاجر برسالة مفادها أنه يختلف عن عقبة.

بدأ أبو المهاجر فتحه للمغرب، بميلة حيث دخلها سنة (59هـ) وأقام بها عامين،ضبط فيها أحوال الأقاليم التي مر بها من القيروان إلى ميلة، وعين لهم مسجدا في ميلة هو مسجده الذي يحمل الآن اسم مسجد سيدي غانم، وابتنى بجواره دارا للإمارة.

وهذا الفعل مما يحتسب لأبي المهاجر دينار، إذ أنه كانت من عادة الأمراء الفاتحين من قبل أن يفتحوا ما استطاعوا من مدن وحصون ومن بعدها يعودون للفسطاط عاصمة إمارة مصر أو للقيروان، ولم

22- محمد بن محمد ابن عذاري ، أبو عبد الله المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب دار الثقافة، بيروت لبنان(الطبعة الثالثة)(1983 م)،(23/1).

23- أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي أبو العباس شهاب الدين الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى دار الكتاب - الدار البيضاء (136/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكونوا يمكثون في أرض المغرب بين القبائل طويلا، فقرر أبو المهاجر دينار أن يقيم بين البربر، وأن يظهر الدين لهم، ويستميلهم كما فعل مع كسيلة[24].

ذلك أنه كانت قبيلة أوربة البرنسية تحت قيادة كسيلة بن لزم النصراني الذي جمع الجيوش لقتال أبي المهاجر فالتقاه عند تلمسان[25]،وهزمه وأظهر كسيلة الإسلام فاستبقاه أبو المهاجر وأحسن إليه ليستميله للإسلام.

واستمرت سياسة أبي المهاجر المهادنة لبربر المغرب من أجل إستمالتهم، إلى أن تغيرت القيادة في مصر.

-عزل أبي المهاجر:

عاد عقبة بن نافع إلى دمشق واشتكى لأمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، عزله من إمارة المغرب، وإساءة أبي المهاجر له في عزله، فاعتذر إليه، ووعده بالعودة إلى المغرب واليا عليه، وفعلا عاد إليها بعد اعتلاء ابنه يزيد منصب الخليفة[26].

وبمجرد عودته للمغرب قام عقبة بن نافع بعزل أبي المهاجر من قيادة الجيوش، وأوثقه في الحديد، والسبب في ذلك هو المعاملة السيئة التي عامله بها أبو المهاجر عند عزله[27]، وإخلائه للقيروان.

-استشهاده:

يحدثنا عن ذلك ابن عبد الحكم يقول:" كانت ولاية مسلمة بن مخلّد كما حدثنا يحيى بن بكير، عن الليث بن سعد، سنة سبع وأربعين، وولّى أبا المهاجر دينارا مولى الأنصار، وأوصاه حين ولّاه أن يعزل عقبة أحسن العزل، فخالفه أبو المهاجر، فأساء عزله وسجنه، وأوقره حديدا حتى أتاه الكتاب من الخليفة بتخلية سبيله وإشخاصه إليه، فخرج عقبة حتى أتى قصر الماء، فصلّى، ثم دعا، وقال: اللهمّ لا تمتنى

24- المرجع السابق،نفس الصفحة.

25- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المرجع السابق، (237/4).

26- أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي أبو العباس شهاب الدين المرجع السابق(136/1).

27- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية (1415هـ)،(ص224).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حتى تمكّنّى من أبى المهاجر دينار بن أمّ دينار، فبلغ ذلك أبا المهاجر، فلم يزل خائفا منذ بلغته دعوته... فخرج عقبة بن نافع سريعا بحنقه على أبى المهاجر حتى قدم إفريقية، فأوثق أبا المهاجر فى وثاق شديد، وأساء عزله، وغزا به معه إلى السّوس، وهو فى حديد.وأهل السوس بطن من البربر، يقال لهم أنبية، فجّول فى بلادهم، لا يعرض له أحد ولا يقاتله، فانصرف إلى إفريقية، فلما دنا من ثغرها أمر أصحابه، فافترقوا عنه، وأذن لهم حتى بقى فى قلّة، فأخذ على مكان يقال له تهوذة، فعرض له كسيلة بن لمزم فى جمع كثير من الروم والبربر، وقد كان بلغه افتراق الناس عن عقبة، فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل عقبة ومن كان معه، وقتل أبو المهاجر وهو موثق في الحديد"[28]

وكان ذلك سنة (63هـ)فرحمه الله رحمة واسعة.

28- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري، المرجع السابق،نفس الصفحة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مسجد سيدي غانم دراسة تاريخية أثرية

موقع مسجد سيدي غانم وتاريخه

الموقع الجغرافي

يقع مسجد سيدي غانم في الجهة الغربية للمدينة القديمة بميلة، وبالضبط داخل السور البيزنطي الحصين الذي به (14) برجا للمراقبة، و يعرف موقعه اليوم (بالثكنة العسكرية الفرنسية القديمة) و هي مقر

متحف المدينة حاليا.

يعتقد كثير ممن كتبوا حول مسجد سيدي غانم أنه أقيم على أنقاض كنيسة أو مجمع كنسي، وهذا غير دقيق، فقد أثبتت الحفريات الأولى التي تمت عام (1968م)أن المسجد لا يشترك مع الكنيسة إلا في سورها الخارجي.

وبالتالي فإن المسجد لم يقم على قواعد الكنيسة بل قام خارجها[29]، ولكن استعمل المسلمون بعض أجزاء ما وجدوه في الحصن البيزنطي لإقامة المسجد كالأعمدة والتيجان.

29- وكالة الأنباء الجزائرية، المسجد الأثري سيدي غانم بميلة.. مشروع ترميم جدي لمتحف مستقبلي، بتاريخ (22 - 04 – 2013م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لمحة تاريخية عن مسجد سيدى غانم:

كما مر بنا من قبل أن باني مسجد سيدي غانم هو الفاتح والقائد الإسلامي أبو المهاجر دينار، وذلك سنة (59هـ) كما ذكرت ذلك كثير من المصادر الإسلامية. واستمر هذا المسجد من تلك اللحظات في تنوير بلاد المغرب الأوسط أو الجزائر على مر العصور، ولم تذكر الروايات التي عنيت بأحداث التاريخ الإسلامي أي تفاصيل أخرى عن المسجد من حيث الترميم أو إعادة البناء أو الزيادة فيه أو غير ذلك من أعمال البناء والعمران التي تتعرض لها المساجد العتيقة، وربما السبب في ذلك يرجع إلى أهمية ميلة السياسية والإدارية، والتي فقدت إثر تحول أنظار الدول الإسلامية -التي توالت سلطتها على الجزائر- إلى مدن أخرى أكثر أهمية كطبنة وقسنطينة وغيرها من قواعد الدولة الإسلامية.

ثم تظهر بعد ذلك بعض التغييرات إثر الإستعمار الفرنسي للجزائر، فتظهر بعض الأجزاء التي استحدثها الفرنسيون بما يناسب مشروعهم الجديد وهو الثكنة العسكرية.

وقد عانى المسجد من كثير من الإهمال، بداية من الفترة الاستعمارية، حيث عمدت القوات الفرنسية إلى اتخاذه مقرا لثكنتها بميلة وعملت عل تغيير معالمه الأثرية، فقامت بتقسيمه إلى طابقين العلوي لمبيت الجنود والسفلي كزريبة للخيل والخنازير، وقامت بعد سنة (1848م) بهدم منارة المسجد واستعمال حجارتها لبناء كنيسة ميلة الحديثة، والتي تحولت بعد الاستقلال إلى مسجد.

-الحفريات الأثرية:

طال الإهمال المسجد حتى سنة (1968م) أين بدأت فيه أول عمليات حفرية أثرية، وسرعان ما توقفت، إلى غاية سنة (2012م) أين خصصت وزارة الثقافة للمسجد مبلغا ماليا، لعملية حفظ استعجالية.

وبعد هذه العملية الاستعجالية صار مسجد سيدي غانم مهيئا لانتظار عمليات ترميم شاملة.

-الدراسات الأكاديمية:

إضافة إلى هذا فإن الدراسات الأكاديمية مستمرة حول مسجد سيدي غانم، فهناك رسالة دكتوراه أعدتها الباحثة: أمل مقراني من جامعة السوربون (فرنسا). كما يعد الباحث كمال بزتين رسالة دكتوراه حول "دراسة مواد بناء مسجد سيدي غانم"، وهي دراسة تقنية بحتة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصف مسجد سيدى غانم

الوصف الخارجي لمسجد سيدى غانم

مسجد سيدي غانم بني على شكل مستطيل يتربع على مساحة 695 م^2، بأبعاد كالتالي:

الطول: (29.56م)

العرض: (23.50م)[30]

من الجنوب نجد حائط القبلة،ويضم أربعة نوافذ وباب، ومن الجهة الشرقية دار الإمارة وبها الباب الرئيسي للمسجد، ومن الشمال الحائط الخلفي، ويضم ثلاثة نوافذ وبابين،أما الجهة الغربية فتضم بابا واحدا وثلاثة نوافذ.

وأما سقف المسجد فهو قرميدي مكون من القرميد الأحمر، مائل من الجهتين الشمالية والجنوبية، يرتكز في المنتصف على عمود يمتد على طول المسجد، وهو سقف وضع في العهد الفرنسي.

ويحيط بالمسجد ساحة تنتهي بدرج عريض وينتهي إلى ساحة يعتقد أنها كانت القاعة الرئيسية للكنيسة، فالدرج إذا هو درج مدخل الكنيسة.

وبجوار الحائط الشرقي للمسجد منبع ماء لا يزال جزء من حوضه يظهر.

30- مطوية من إعداد الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية، فرع ميلة (ص1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوصف الداخلي لمسجد سيدي غانم

مخطط المسجد

يتميز مسجد غانم بطابعه المعماري البسيط،الذي يشبه المساجد الأولى المبنية في القرن الأول الهجري، حيث كانت العمارة سهلة بسيطة غير معقدة، ولا تعتمد على كثير من الزخرفة، ذلك العنصر الذي بدأ في الظهور والبروز مع تطور العمران في الحضارة الإسلامية.

والمسجد عبارة عن شكل مستطيل طوله (29.56 م) وعرضه (23.50 م)، ويتشكل من أربعة (4)أساكيب موازية لجدار القبلة، وسبعة (7) بلاطات متعامدة مع جدار القبلة.

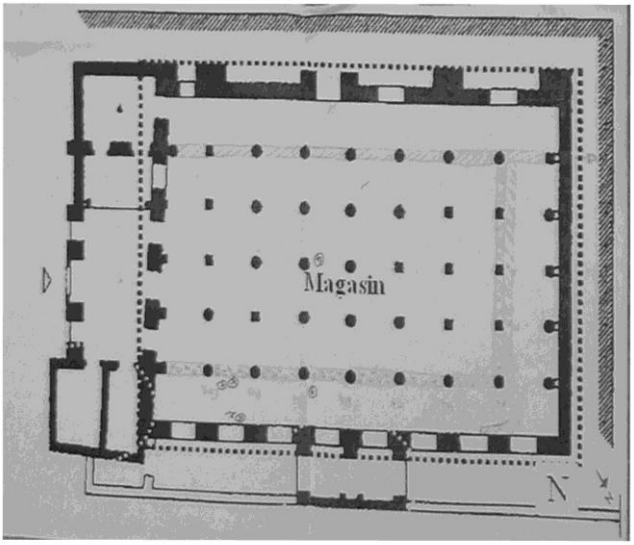

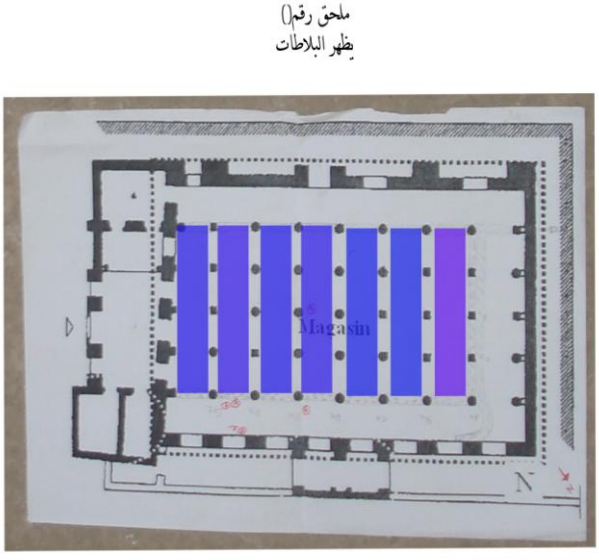

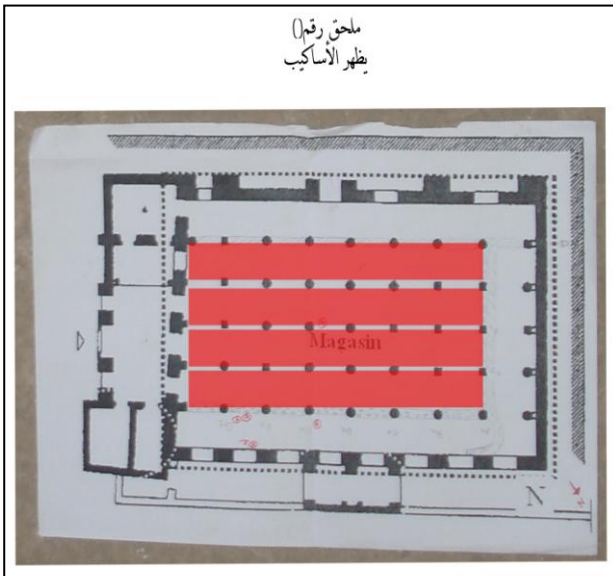

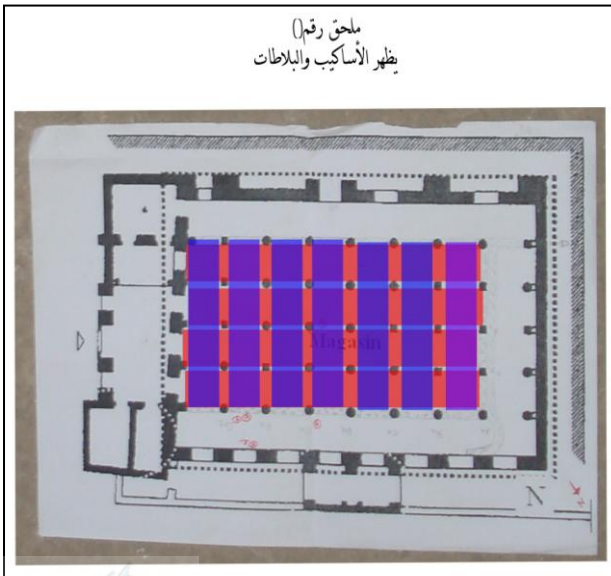

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو في هذا يقترب من النمط الهندسي الذي بني به المسجد الأموي في دمشق، وجماع عقبة بن نافع بالقيروان، وهما ينتميان لنفس الفترة التي بني فيها مسجد سيدي غانم.

وللمسجد عدة منافذ وأبواب، يظهر منها جليا الباب الرئيسي ويقع في الجهة الشرقية للمسجد ويتوسط السور بين بنايتين،إحداهما دار الإمارة. وباب آخر في جدار القبلة لكن يظهر أنه من الإضافة الفرنسية إذ يقع خلفه مباشرة المحراب الذي لا تزال تظهر معالمه.

وكذلك هناك بابين في الجدار الشمالي الأول يقابل البلاطة الثالثة (3)المحاذية لجدار دار الإمارة، والآخر يقابل البلاطة السابعة (7) المحاذية للجدار الغربي.

وهناك باب آخر في الجدار الغربي للمسجد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسائل التدعيم

-الأسطوانات:

يقوم هيكل المسجد على أربعين (40) عمود أو أسطوانة أو سارية كما يعبر عنه في المغرب الإسلامي، كلها تعود للفترة الرومانية والبيزنطية وفي ذلك يقول غوستاف لوبون:" وجد العرب، في جميع البلاد التي استولَوا عليها، عددًا كبيرًا من المباني الإغريقية والرومانية والبزنطية المتداعية أو المهجورة، وانتفعوا بأعمدتها وتيجان أعمدتها"[31]،ذلك أن الإعتماد على السواري الإسلامية لم يكن في الفترة الأولى من الحضارة الإسلامية[32]

منها إثنا عشر(12) عمودا مربع الشكل ، والبقية دائرية الشكل، وكما هو معروف فإن العمود يتكون من ثلاثة أجزاء: القاعدة والبدن والتاج.

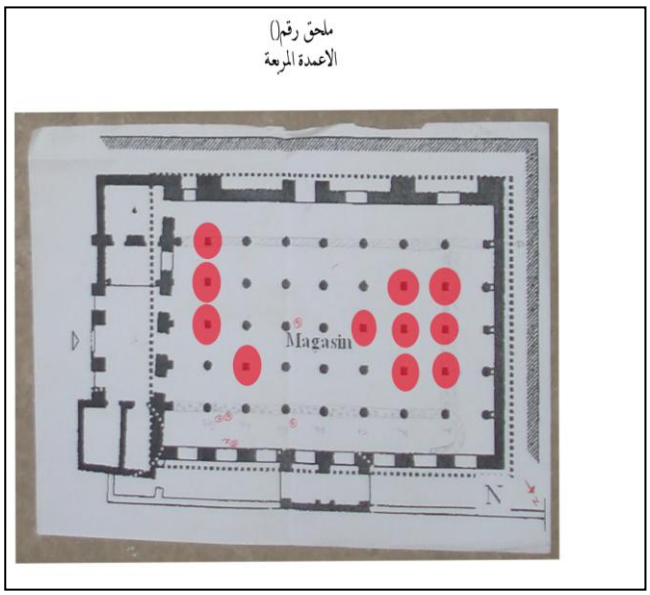

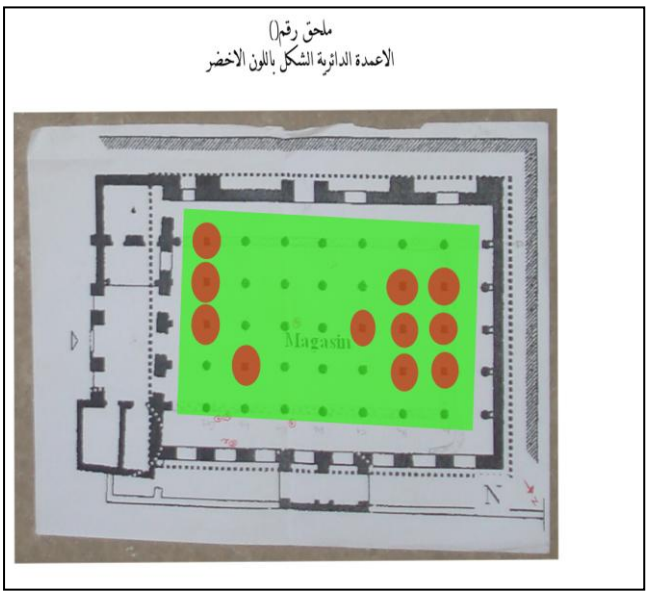

31- غوستاف لوبون،المرجع السابق (ص544).

32- يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية،مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر،(الطبعة الأولى)(1999م)(49/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-الأبدان: استعملت أبدان رومانية وبيزنطية مربعة أو دائرية لكن غلب عليها الطابع الأملس الذي يقرب من النوع التوسكاني الروماني الذي يتميز بالملاسة والخلو من أي تجويف إذ يُعَدُّ صورة بدائية من الطراز الدوري الإغريقي سوى أنه ليس به أخاديد. كما هو الحال في العمود الأيوني مثلا الذي اخترعه الإغريق الذين كانوا يقطنون جزر بحر إيجة وآسيا الوسطى. ويرتفع ساق العمود الأيوني على قاعدة مستديرة تحتوي أحيانًا كُتلة مربعة في الأسفل تُسمَّى الوطيدة ارتفاعها يتراوح بين 9 و10 أمثال قطرها الأسفل. ويوجد على طول الساق عادة 24 أخدودًا تفصل بينها حِلْيات مسطحة ضيقة مستوية. أما تاجُه فيتألف من حِلْيات حلزونية، أي حليات درجية، وتُفصل الحلية المدورة عن طبلية تاج العمود.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-التيجان: تنوعت التيجان المستعملة فوق الأبدان، لكننا لا نجد التيجان التي تميزت بها العمارة الإسلامية[33]، وذلك يرجع إلى اعتماد الفاتحين على المواد البناء الرومانية والبيزنطية الموجودة حينها.

وقد استعملت أنواع من التيجان الرومانية فنجد منها التاج الكورنتي بنوعيه البسيط والمركب، وكذلك الأيوني والدوري[34].

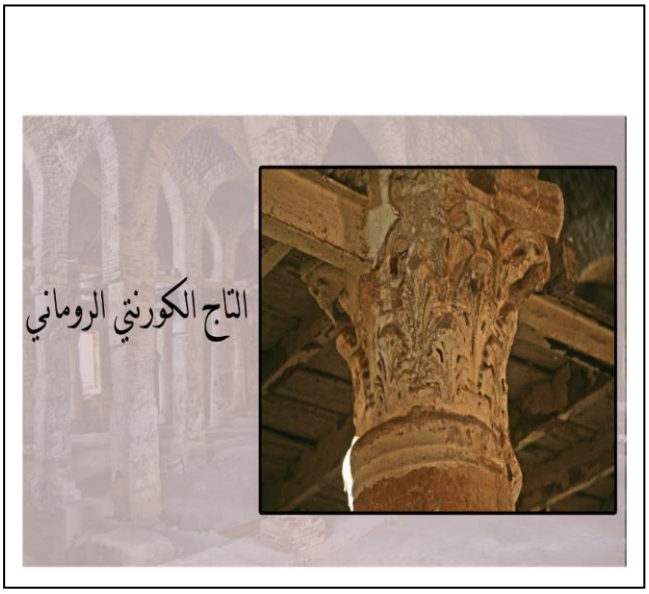

33- أنظر الملحق رقم (صور التيجان)

34- مطوية من إعداد الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية، فرع ميلة (ص1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-القواعد: استعمل المعماريون الذين بنوا مسجد سيدي غانم نمط بسيط جدا من القواعد يتألف حصريا من الآجر المتراص، بشكل مربع.

-الأقواس: بلغت الأقواس في مسجد سيدي غانم واحدا وأربعين(41) قوسا أو عقدا،والعقود عنصر معماري مهم جدا في العمارة الإسلامية[35]، ولقد استعملت بأشكال مختلفة، لكن الذي ميز العمارة المغاربية هو عقد وقوس من نوع خاص هو ما يسمى: بحدوة الفرس او الحصان[36]، ونجد أن الاقواس في مسجد سيدي غانم قد تنوعت بين الدائري إلى المحدب.وتميزت بالبساطة، وخلوها من الزخرفة التي تميزت بها فيما بعد الاقواس في العمارة الإسلامية. وهي مكونة من الاساس من قطعات آجر متراكبة تنطلق من تاج العمود مكونة قاعدته لتلتقي عند المنتصف على شكل دائري أو محدب.

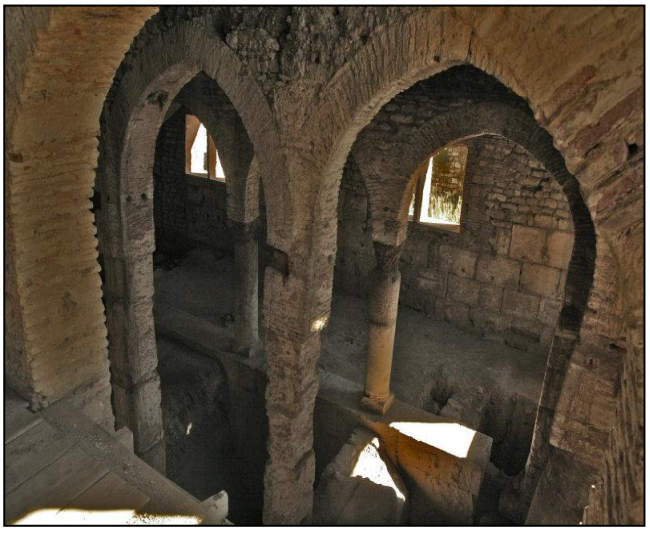

35- غوستاف لوبون،المرجع السابق(ص545).

36- يحيى وزيري، المرجع السابق(61/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-المحراب: اندثرت معالم المحراب من مسجد سيدي غانم، نظرا لتلاعب الإحتلال الفرنسي ببعض أجزاء المسجدن ومحاولتهم طمس المعالم الإسلامية والدينية لهذه البناية لذلك لا يمككنا تحديد بدقة هيكل المحراب إلا ان أغلب التقديرات ترجح أن مكانه في البلاطة الثالثة (3).

وتميز محراب جامع سيدي غانم كما المساجد الاثرية الأولى بأن قبلته للجنوب، وذلك نظرا لاعتقاد المسلمين الأوائل ان القبلة من المغرب الى الجنوب ومع تقدم علم الفلك والجغرافيا عند المسلمين بدؤوا في تصحيح القبلة.

التنميق

اختفت أشكال التنميق والتزويق من مسجد سيدي غانم، فلم نر تلك الزخارف التي تميزت بها الأقواس والعقود في العمارة الإسلامية، ولا ما تميزت به المساجد من وجود المشكاة التي تستعمل في الإضاءة وكانت دوما تنمق حتى تعطي الجانب الجمالي للمسجد، والسبب في ذلك هو طبيعة العمارة في القرن الأول الهجري والتي كانت تعتمد على البساطة، وأيضا عدم اهتمام الحكام، من بعد بمسجد سدي غانم ، وأيضا للتحوير الذي قامت القوات الاستعمارية على معالم المسجد.إلا ما بقي من كتابة ظاهرة على مدخل المسجد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-الزخرفة الكتابية:

وقفت على كتابتين إحداهما ظاهرة كبيرة بارزة وكتبت على جنبتي الباب الرئيسي للمسجد، واستعمل فيها الآجر الأحمر المحروق المرتب مشكلة مقولة(بركة محمد).والخط من نوع الكوفي المربع. وهو الخط الذي تميزت به زخرفة المساجد لمدة طويلة، يقول غوستاف لوبون"إن للخط العربي شأن كبير في الزخرفة، ولا غرو فهو ذو انسجام عجيب، مع النقوش العربية، ولم يستعمل في الزخرفة حتى القرن التاسع الميلادي غير الخط الكوفي، ومشتقاته كالقرمطي والكوفي قائم الزوايا"[37]

وهو" خط يتماشى مع الكاتب في كل هندسة وزخرفة وشكل، مع بقاء حروفه على قاعدتها:[38].

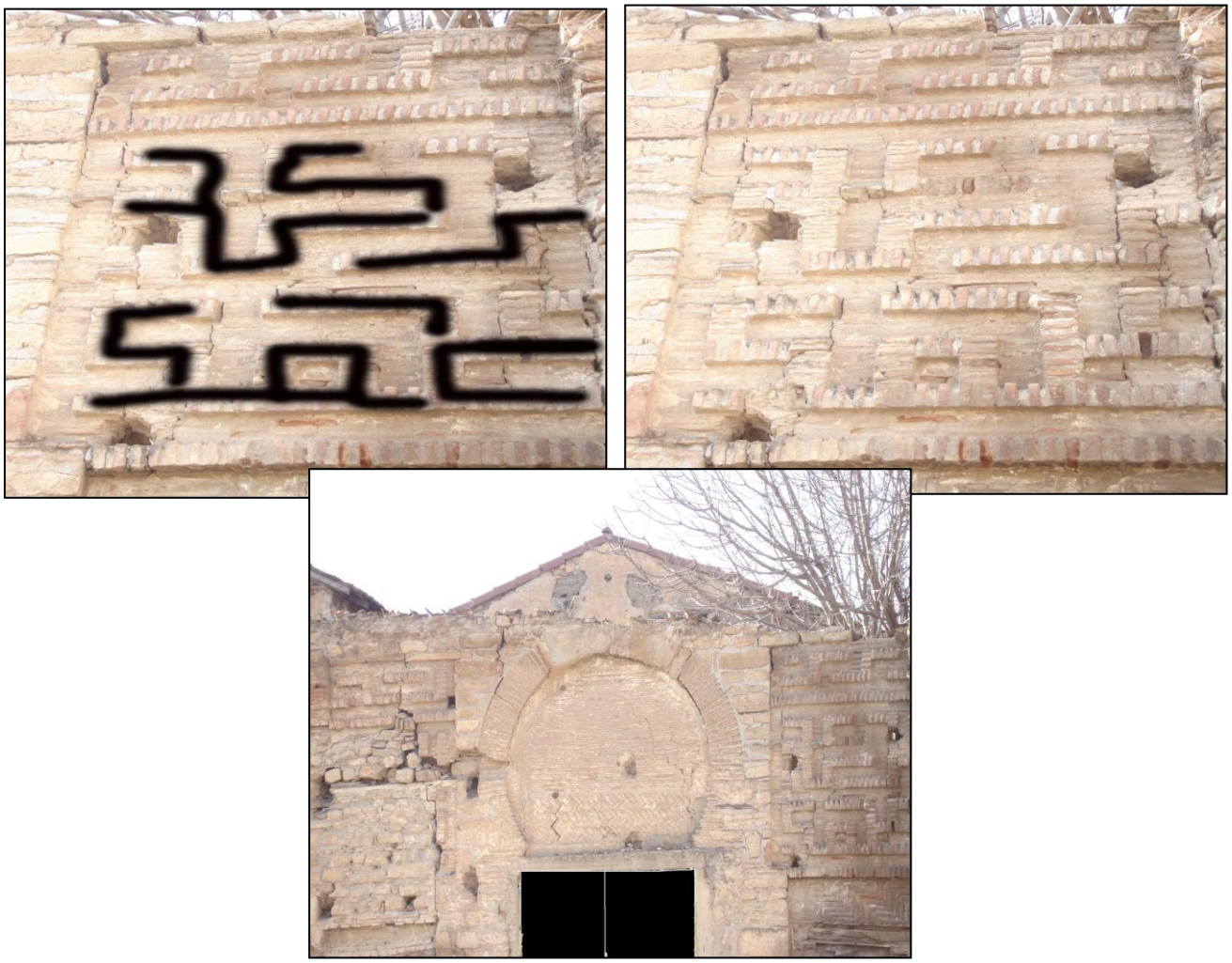

37- غوستاف لوبون ن المرجع السابق، (ص550)و يحيى الصوفي،رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث،إتحاد الكتاب العرب(ص51).

38- تاريخ الخط العربي وآدابه، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط،المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني(الطبعة الأولى)(1358هـ-1939م) (ص111).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما الثانية: فهي داخل دار الإمارة ولم يتسن لي التدقيق في محتواها إلا أنها كتبت بخط كوفي قديم، ونحتت على إحدى أحجار جدار دار الإمارة.

-المنارة:

لا يوجد الآن أثر لمنارة المسجد، مع أن كتابات المؤرخين دلت عليها،وذكروا أنها كانت منارة ضخمة تحوي(365)درج بعدد أيام السنة ويبلغ طولها(62)متر [39]، إلا أن عملا فنيا فرنسيا لرسام فرنسي اسمه (دولامار) خلد هذه المنارة وأثبت وجودها قبل ان تعتدي عليها أيادي الإحتلال الفرنسي،وقد رسم هذه اللوحة دولامار في اطار البعثات العلمية التي كانت ترسلها فرنسا للجزائر لإجراء البحوث وكان ذلك سنة (1842م) [40].

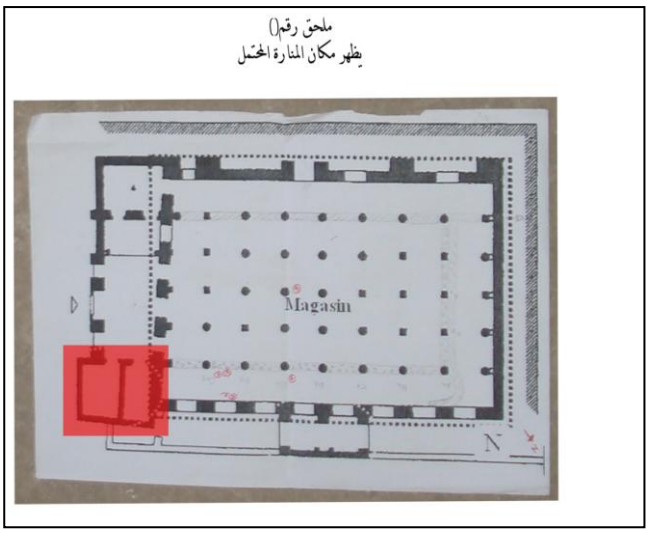

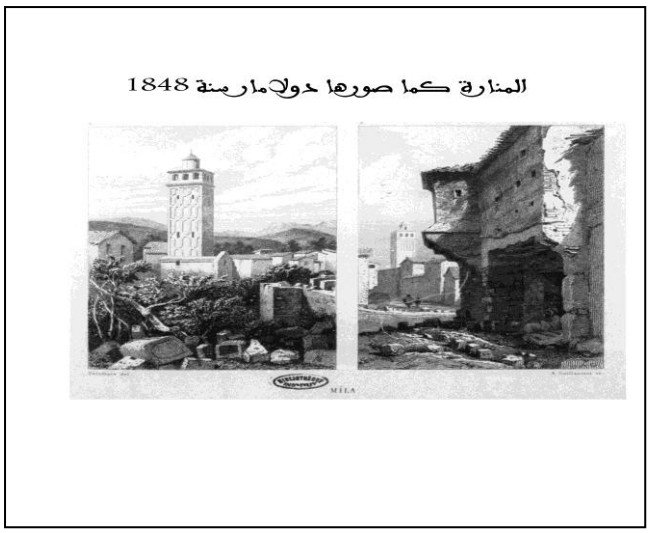

وقد هدمت هذه المنارة لتستعمل حجارتها في بناء الكنيسة في ميلة الأوربية، لتسترجع من بعد ذلك الكنيسة وتحول إلى مسجد.

ومما أفادته لوحة دولامار أن المنارة كانت مرتفعة جدا مما يؤكد رواية بعض المؤرخين آنها كانت تصل إلى 62م أي ما يقارب 20 طابق من البناءات الحديثة، وأكثر من هذا فاللوحة ترشدنا على مكان المنارة وهي الجهة الشمالية الشرقية.

39- ، ثاني أقدم مسجد في شمال إفريقيا يوجد بميلة ، الشروق اليومي مقال نشر يوم: (21 - 08 – 2010م).

40- منارة أبو مهاجر دينار (دولامار)أهم لوحة فنية في حظيرة ميلة الأثرية، يومية السلام اليوم، مقال نشر يوم: (2013/02/26م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خاتمة:

بعد هذه الإطلالة التي لا ادعي أنها كافية لتسليط ضوء يجلي لنا حقيقة مسجد سيدي غانم وتاريخه ودوره الحضاري الذي دام طيلة قرون، إلا اننا يمكننا استخلاص بعض النتائج فأقول:

- إن الروايات التاريخية والآثار المادية، تؤكد لنا أن مسجد سيدي غانم هو ثاني أقدم مسجد في المغرب الإسلامي بعد مسجد عقبة بن نافع بالقيروان.
- الحضارة الإسلامية حضارة إعمار وبناء وتشييد وتكميل وليست حضارة هدم وتدمير وطمس المعالم.
- لم يبن مسجد سيدي غانم على أنقاض كنيسة وإنما بجنبها.
- تزخر الجزائر بمواقع أثرية كثيرة وغنية وعذراء، تحتاج لجهود كبيرة من مختصين حتى تنفض الغبار عنها.
- أهمية علم الآثار في الكشف عن حوادث تاريخية مطموسة، أو تأكيد أخرى كانت محل شك، أو تعضيد أخرى ثابتة.

وكتب

عمار بن محمد بوزير

عين البيضاء ديسمبر 2016م

mou3tamidainbeida@gmail.com

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قائمة المصادر والمراجع:

1- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ، ، دار صادر، بيروت (الطبعة الثانية)(1995 م).

2- الاستبصار في عجائب الأمصار المراكشي، ،دار الشؤون الثقافية، بغداد(د ط)،(1986م).

3- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين، ، دار الجيل، بيروت(الطبعة الأولى)(1412 هـ).

4- البلدان، اليعقوبي أحمد بن إسحاق بن واضح، ،دار الكتب العلمية ، بيروت (الطبعة الأولى)،(1422 هـ).

5- كتاب الجزائر أحمد توفيق المدني، المطبعة العربية،(د ط)(د س).

6- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير - الاستِشراق - الاستعمار عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني، ، دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق(الطبعة الثامنة)(1420 هـ - 2000 م).

7- خصائص الحصارة الإسلامية وآفاق المستقبل عبد العزيز بن عثمان التويجري،(د ط)(د س).

8- الحضارة في مفهوم الإسلام أنور الجندي، ، دار الأنصار، القاهرة مصر(د ط)(د س).

9- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ، دار الفكر، بيروت(الطبعة الثانية) (1408 هـ - 1988 م) (237/4).

10- تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة أبو عمرو الشيباني العصفري البصري ، دار القلم , مؤسسة الرسالة - دمشق , بيروت(الطبعة الثانية)،(1397هـ).

11- أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين مسالك الأبصار في ممالك الأمصار المجمع الثقافي، أبو ظبي (الطبعة الأولى)(1423 هـ).

12- المسالك والممالكن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد أبو عبيد البكري الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان (1992 م).

13- معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ، دار صادر، بيروت (الطبعة الثانية)(1995م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

14- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي أبو العباس شهاب الدين، دار الكتاب ، الدار البيضاء.

15- الأعلام، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين (الطبعة الخامسة عشر) (2002 م)

16- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية (1415هـ)،(ص244).

17- محمد بن محمد ابن عذاري ، أبو عبد الله المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب دار الثقافة، بيروت لبنان(الطبعة الثالثة)(1983 م)

18- حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة مصر (د ط) (2013م).

19- يحيى الصوفي،رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث،إتحاد الكتاب العرب(د ط)(د س).

20- محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط، تاريخ الخط العربي وآدابه،المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني،(الطبعة الأولى)،(1358هـ-1939م).

الصحف:

21- ثاني أقدم مسجد في شمال إفريقيا يوجد بميلة ، الشروق اليومي، ، مقال نشر يوم: (21 - 08 – 2010م).

22- المسجد الأثري سيدي غانم بميلة.. مشروع ترميم جدي لمتحف مستقبلي، وكالة الأنباء الجزائرية،مقال نشر بتاريخ (22 - 04 – 2013م).

23- منارة ابو مهاجر دينار (دولامار)أهم لوحة فنية في حظيرة ميلة الأثرية، يومية السلام اليومن مقال نشر يوم: (2013/02/26م).

المواقع الإلكترونية:

24- أسس ومبادئ العمارة الإسلامية، محمد هشام النعسان، موقع أرض الحضارة، ./http://www.landcivi.com